تساؤلات 'أمريكية' حول الإسلام (ج 3)

18-6-2002

الاختلاف في الملل والنحل من طبيعة الوجود البشري، وقد قال تعالى { ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم} (هود: 118 – 119) والقاعدة القرآنية المحكمة { لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي } (البقرة : 256) فلغير المسلم أن يختار البقاء على دينه، ويتحمل مسؤولية هذا الاختيار في الآخرة، وقد وجد غير المسلمين في المجتمع الإسلامي منذ فجر الإسلام، وكانت لهم حقوق مصونة وحرمات مكفولة، بل بلغت سماحة الإسلام مع من يعيشون في مجتمعه من غير ملته في باب القضاء - وهو من أعمال السيادة - أن تركت لهم محاكمهم الملية التي يحتكمون فيها إلى ما يشاءون من شرائع دينهم، وهو أمر لا تعرفه أعرق الدول المعاصرة تشبثا بحقوق الإنسان

الإسلام و الأديان الأخرى

56 - هل في الإسلام مجال لتعدد الأديان؟ بحيث يجوز لكل شخص أن يدين بما يشاء ؟

الاختلاف في الملل والنحل من طبيعة الوجود البشري، وقد قال تعالى { ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم} (هود: 118 – 119) والقاعدة القرآنية المحكمة { لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي } (البقرة : 256) فلغير المسلم أن يختار البقاء على دينه، ويتحمل مسؤولية هذا الاختيار في الآخرة، وقد وجد غير المسلمين في المجتمع الإسلامي منذ فجر الإسلام، وكانت لهم حقوق مصونة وحرمات مكفولة، بل بلغت سماحة الإسلام مع من يعيشون في مجتمعه من غير ملته في باب القضاء - وهو من أعمال السيادة - أن تركت لهم محاكمهم الملية التي يحتكمون فيها إلى ما يشاءون من شرائع دينهم، وهو أمر لا تعرفه أعرق الدول المعاصرة تشبثا بحقوق الإنسان ودعوة إليها، ولعل بقاء غير المسلمين ومحاكمهم الملية في مصر وغيرها من بقية بلاد المسلمين خير دليل على ذلك.

57 - لماذا نجد المسلمين لا يتكلمون في الأديان العالمية سوى اليهودية والنصرانية؟

يبدو أنك لا تقرأ في كتب المسلمين، وإنما تقرأ ما يكتب عنهم، وأظنك توافقني أن هذا ليس من الإنصاف في شيء، إن جامعة الأزهر على سبيل المثال بها أقسام مستقلة عن الأديان في مختلف فروعها، وما هي إلا جامعة من آلاف الجامعات الإسلامية، وقل مثل ذلك في معظم الجامعات الأخرى، وكتب المسلمين حافلة بالحديث عن الأديان، وأحيلك إلى الموسوعة التي أصدرتها الندوة العالمية للشباب الإسلامي حول الأديان وهي من أحدث ما كتب في هذا المجال، وما هي إلا واحدة من آلاف الكتب التي تعمر بها المكتبة الإسلامية في هذا المجال.

58 - لماذا يتوقع من المسلمين أن يقاتلوا غير المسلمين؟

هذا القول بهذا الإطلاق من أباطيل بعض المستشرقين، فالمسلمون لا يقاتلون إلا من يقاتلهم في الدين، أو من يخرجهم من ديارهم بغير حق، أو يصادر على الإنسان حقه في الاختيار، ويفتنه في دينه.

59 - لماذا وجب على المسلمين قتال الكفار (غير المسلمين) حتى يعلنوا إسلامهم؟

المبدأ الإسلامي العام { لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي} (البقرة: 256) وقال تعالى { أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين } (يونس: 99) والقتال في الإسلام لمنع الفتنة في الدين، ونصرة المستضعفين، والمحافظة على حق الإنسان في أن يختار ما يشاء دون ما قهر أو فتنة، ومن أطلق القول فزعم أن القتال في الإسلام لإكراه الناس على الدين، فقد كذب على الله وكذب على المسلمين!

60 - لماذا يكره المسلمون عيسى بن مريم عليه السلام) إلى درجة أنهم لا يعتقدون بأنه ابن الله ، وأنه صلب لذنوب الخلائق؟

لم أر أعجب من هذا السؤال، لأنه لا يوجد تلازم بين المحبة والتقدير، وبين اعتقاد بنوة المسيح لله أو الاعتقاد في ربوبيته، إن المسيح نبي كريم من أنبياء الله ، بل هو من أولي العزم من الرسل، وقد بلغ رسالة ربه، وصبر على عنت قومه، ورفعه الله إليه، وسوف ينزل في آخر الزمان حكما مقسطا، فيصحح جميع الأغلاط التي نسبت إليه أو ارتكبت باسمه.

لقد جاء الإسلام في قضية المسيح وسطا بين طرفين : طرف غلا في ذمه والانحراف عنه، وهؤلاء هم اليهود الذين قالوا إنه ولد من سفاح، ونسبوا إليه وإلى أمه الشنائع والقبائح، وبين طرف غلا في تقديره فاتخذه وأمه إلهين من دون الله، فجاء القرآن الكريم ليصحح أغلاط الفريقين، وليرد بالحق وإلى الحق هؤلاء وهؤلاء، فماذا قال القرآن عن المسيح وأمه:

{وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على لسان العالمين}(آل عمران: 42)

{ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين} (آل عمران: 45 – 46)

{إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون } (آل عمران: 55)

فالمسلمون يعتقدون في نبوة المسيح وطهره وعلو منزلته، ويرون سبه أو التطاول عليه يخرج من الملة ويوجب على صاحبه القتل، ولا يفرقون في ذلك بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم، (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) (البقرة :285)

وفي نفس الوقت يعتقدون بشريته وأنه عبد من عباد الله ، وأن الله تعالى أجل من أن يتخذ ولدا، بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون، وإن نسبة الولد إلى الله جل وعلا من أعظم ما يسب به الرب جل وعلا ، بل هي من الشنائع التي تكاد أن تتفطر منها السماوات، وتوشك الأرض أن تنشق لهولها، والجبال أن تخر لبشاعتها! ، أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة؟ فالله جل وعلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

قال تعالى : { وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا } مريم:88 -95

وقال تعالى : {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا} (النساء: 171 – 172)

61 - هل مات عيسى عليه السلام على الصليب أم لا يزل حيا؟

لم يصلب المسيح عليه السلام، وإنما رفعه الله إليه حيا، فهو لم يذق بعد الموتة التي كتبها الله على بني آدم ، كما أنه سينزل آخر الزمان حكما مقسطا، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويرد الناس إلى شريعة الإسلام:ومن الأدلة على أنه لم يصلب، وأن الله جل وعلا قد رفعه إليه حيا ما يلي:

- قوله تعالى مندد باليهود فيما زعموه من صلب المسيح : { وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما } النساء : 157-158 ، لقد زعم اليهود أنهم صلبوا المسيح وأنهم قتلوه، فأنكر الله عليهم ذلك، ورده عليهم بقوله { بل رفعه الله إليه} ومقتضى ذلك أن يكون المسيح عليه السلام قد رفع بدنا وروحا ليتحقق الرد عليهم فيما زعموه من قتله وصلبه، لأن رفع الروح فقط لا ينافي دعوى القتل والصلب، وليست فيه خصوصية لعيسى عليه السلام، فإن أرواح جميع الصالحين ترفع إلى الله جل وعلا، وتفتح لها أبواب السماء.

- قوله تعالى: { وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا } (النساء: 159) ومرجع الضمير هنا في قوله تعالى (قبل موته) إلى المسيح عليه السلام، وذلك عند نزوله في آخر الزمان حكما مقسطا داعيا إلى الإسلام، ومقتضى ذلك أنه لم يمت بعد الموتة التي كتبها الله على بني آدم، وإنما يكون ذلك بعد نزوله وإيمان أهل الكتاب به.

أما نزوله آخر الزمان حكما مقسطا فإنه من جملة ما يدين به المسلمون ، وقد دلت على ذلك بعض الإشارات القرآنية، كما دلت عليه الأحاديث النبوية الصحيحة الصريحة ، ومن الإشارات القرآنية ما يلي:

- قوله تعالى: {وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم } الزخرف: 61

وقد ذكر ابن جرير الطبري في تفسيره عن ابن عباس قوله: ما أدري علم الناس بتفسير هذه الآية، أم لم يفطنوا لها؟ "وإنه لعلم للساعة" قال: نزول عيسى ابن مريم ، وقد روي مثل ذلك عن قتادة، والضحاك والسدي، وابن زيد، وكثير من السلف .

- قوله تعالى: { وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا} النساء:159

وقد سبق أن مرجع الضمير في قوله تعالى { قبل موته } على المسيح عليه السلام، وفي ذلك دلالة على نزوله آخر الزمان، لأن هذا المذكور في الآية لم يتحقق إلى الآن، فكم من أهل الكتاب من هو كافر به الآن، ولكن ذلك كائن لا محالة عندما يعود آخر الزمان.

أما من السنة النبوية فقد ورد في ذلك من الأحاديث النبوية ما بلغ مبلغ التواتر، وفيها التصريح بنزوله وصفة نزوله ومكانه ... الخ ، نذكر منها :

- قوله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد) قال أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى { وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) متفق عليه

- قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة) قال فينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم : تعال صل لنا، فيقول: لا ، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله لهذه الأمة

62 - لماذا لا يؤمن المسلمون بكرامات المسيح؟ أفلم تكن هذه الخوارق من الأدلة الواضحة على إلهيته؟

يؤمن المسلمون بمعجزات المسيح عليه السلام كما يؤمن بمعجزات محمد صلى الله عليه وسلم ، بل لا يصح إسلام أحد من المسلمين إلا بالإيمان بها، لأنها جزء من القرآن الكريم الذي لا يصح إسلام أحد من الناس إلا بالإيمان به والإقرار المطلق بما جاء فيه، قال تعالى : { ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بنى إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون ما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين }آل عمرا ن 48- 49

ولكن هذه المعجزات لا تدل على إلهية المسيح، وإنما تدل على نبوته، شأنه في ذلك شأن بقية إخوانه من المرسلين ، لقد شق البحر لموسى عليه السلام، وانقلبت العصا في يده حية تسعى، وأبطل الله له بها سحر السحرة، ولم يكن بذلك إلها ! لقد سخرت الريح لسليمان تجري بأمره، وسخرت له الجن يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات، ولم يكن بذلك إلها، وإنكم لتنسبون لتلاميذ المسيح من الكرامات ما تنسبون، ولم يكونوا بذلك آلهة! أليس كذلك؟!

63 - لماذا لا يؤمن المسلمون بأن عيسى عليه السلام مخلصهم ، أي أنه يحمل ذنوبهم و معاصيهم و أوزارهم؟

لأنه قد تقرر في جميع الملل السماوية، وعند جميع العقلاء أنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، ولأن هذا يعارض ما دعا إليه المسيح عليه السلام، قال تعالى { وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون

الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم} (المائدة : 116 – 119) وقال تعالى : { لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار}(المائدة : 72)

64 - على رأي الإسلام هل يدخل النصارى الجنة؟

- من آمن بالمسيح قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يتخذه إلها من دون الله ، فهو من المؤمنين الناجين في الآخرة، وفي القرآن سورة كاملة هي سورة البروج تتحدث عن شهداء النصارى في قصة أصحاب الأخدود.

- ومن آمن به قبل البعثة ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم عندما بلغته دعوته فإنه يؤتى أجره مرتين: مرة لإيمانه بالمسيح، والأخرى لإيمانه بمحمد صلى الله عليه وسلم.

- ومن أشرك به مع الله، أو ظل على نصرانيته بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم: فإن كان قد بلغته دعوة الإسلام على وجهها بلاغا صحيحا تقوم بمثله الحجة ثم عاند وأبى كان من أهل النار، ومن لم تبلغه الدعوة منهم، أو بلغته بلاغا مشوها لا تقوم بمثله حجة فأمره إلى الله .

65- أنتم تقولون بأنكم تقرون بنبوة إبراهيم و إسحاق و موسى و يحيى -ولكن كيف هذا و هؤلاء الأنبياء كانوا من اليهود؟

الإيمان بالرسل جميعا ركن من أركان الإيمان في عقيدة أهل الإسلام ، لا يثبت عقد الإسلام إلا باستيفائه، فمن كفر بنبي واحد من أنبياء الله فقد كفر بالأنبياء جميعا ، قال تعالى: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) (البقرة: 285) أما كون إبراهيم وإسحاق من اليهود فذلك زعم مغلوط، فإن التوراة وهي كتاب اليهود لم تتنزل إلا من بعد إبراهيم بزمان طويل، فكيف ينسب إبراهيم إلى موسى وما بعث موسى إلا من بعده؟!

قال تعالى : { يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون} (آل عمران: 65) وقال تعالى : {ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين }(آل عمران: 67)

وقد كانت اليهودية في زمان موسى عليه السلام، وقبل أن تنسخ دينا صحيحا يعبد الله تعالى به، ويصل بهم إلى مرضاته وجنته، ، ونحن نقرأ في القرآن قول الله تعالى :{ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون } (الأعراف: 159) فكل من آمن بموسى عليه السلام في زمانه أو قبل أن تنسخ رسالته فهو من المؤمنين الناجين في الآخرة . وقد تلاحى رجلان مسلم ويهودي في زمن النبوة حول المفاضلة بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المفاضلة بين الأنبياء.

66- إذا كان بعض النصارى يعبدون عيسى عليه السلام فهل بعض المسلمين يعبدون محمدا صلى الله&